

# الصوم المقدس

## للقدّيس باسيليوس الكبير

يوصينا النبي قائلاً: " إنفخوا في رأس الشهر بالبوق عند الهلال ليوم عيدنا " (مز3:81). إن الكلمات تُعلن لنا بحسب (إش6:4:58). والتي هي أعظم من الأبواق وأجدر من كل الآلات الموسيقية . عن مجيء عيد الأعياد. فلقد عرفنا من إشعياء نعمة الصوم، فهو الذي استنكر طريقة اليهود في ممارسة الصوم وأظهر لنا الصوم الحقيقي عندما قال: " ها إنكم للخصومة والنزاع تصومون "، " أليس هذا صوماً إختاره حلّ قيود الشر " (إش6:4:58). والرب يقول " ومتى صمتتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين. فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين. الحق أقول لكم إنهم إستوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك " (مت6:17:16).

دعونا نتصرّف كما تعلّمنا . فلا نظهر عابسي الوجه في أيام الصوم القادمة، لكن علينا أن نظهر بوجه بشوش كما يليق بالقدّيسين. فعديم الشفقة لا يتوج ولا عابس الوجه يحتفل بنصر. فلا يليق أن أفرح وأسعى نحو صحة النفس، بينما ينتابني حزن بسبب تغيير الأطعمة في فترة الصوم، لماذا أفرح وأهتم براحة الجسد، في الوقت الذي لا أبالي براحة النفس؟! فالحقيقة أن الرفاهية تعوق إستمتاع البطن بالمأكولات، أما الصوم فيجلب فائدة إلى النفس. لهذا ينبغى عليك أن تفرح إذ أعطى لك دواءً فعلاً من الطبيب، دواءً يُمحى الخطية. لأنه كما تموت الديدان التي تحيا في أمعاء الأطفال بدواءٍ فعّال، هكذا الصوم عندما يدخل إلى عمق النفس فإنه يميت الخطية التي تسكن فيها.

إن كلمات الرب: " إدهن رأسك واغسل وجهك " (مت6:17) تدعوك إلى ممارسة الأسرار. فالذي يُدهن يُمسح والذي يغتسل يتطهر. ونحن نتكلم عن الإنسان الداخلي، فهيا طهّر نفسك من الخطايا ولتمسح رأسك بالمسحة المقدسة لتصير شريكاً للمسيح. وهكذا تأتي إلى الصوم. فلا تكتئب وتكسى وجهك بالسواد مثل المرائيين. فالوجه يكسوه السواد عندما يتلون الإنسان الداخلي بالرياء، فيتغطى الشكل الخارجى بقناع كاذب مُزيّف. فالممثل هو الذي يلبس قناعاً على وجهه وهو على المسرح. كما أن العبد مرات كثيرة يلبس قناعاً ليتشبه بالسيد، وبعض المرات يلبس قناعاً ليتشبه بالملك. هكذا في هذه الحياة نجد الأغلبية من البشر. كأنها على مسرح. تلعب أدواراً تمثيلية، فهم يحملون في القلب أموراً دفينّة بينما يظهرون إلى الناس أموراً أخرى مغايرة. إذاً لا تضع قناعاً على وجهك بل عش على حقيقتك.

لا تتملق وتظهر بوجه عابس، لتقتنص مجداً ليس لك. فبالإحسان الذي تفعله علناً وبالصوم الذي لا تتوانى في إعلانه جهاراً لن تستفيد شيئاً، لأن أمور النفاق والتملق التي تمارسها بطريقة ظاهرة لا تثمر ثماراً للحياة الأبدية، فأنت تُفسد الثمار بقبولك لمديح الناس. أسرع إذاً بفرح إلى نعمة الصوم. فالصوم هو عطية وهبت لنا منذ القدم وهو لا يهرم ولا يشيخ. بل يتجدد دائماً وينمو ويزهر لكى يأتى بثمارٍ ناضجة.

هل تظن أن الصوم هو أقدم من الناموس؟ نعم إن الصوم هو أقدم من الناموس. انتظر قليلاً وتمهل وسوف تتحقق من صدق كلامى. لا تظن أن بداية التشريع بممارسة الصوم بالنسبة لإسرائيل كان في اليوم العاشر من الشهر السابع (لا29:16، 27:23). بل تعال نغوص داخل التاريخ لنجد بداية للصوم. فالصوم ليس هو إبتداع حديث. فالصوم جوهره غالية ورثناها من الأجداد، وكل شئ قديم جدير بالوقار. ليتك تُقدّر معى أقدمية

الصوم. فالصوم قديم قدم البشرية. لقد شرع الصوم في الفردوس. فوصية آدم الأولى كانت: " من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها " (تك2:17.16).

فعبارة "لا تأكل" هي تشريع للصوم والإنضباط. فلو مارست حواء الصوم وتجنبت الأكل من ثمر هذه الشجرة، ما كُنّا في حاجة إلى هذا الصوم لأنه " لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى " (مت9:12). فخطيتنا هي التي جلبت علينا المرض. فدعونا إذاً لنُشفى بالتوبة، غير أن التوبة بدون ممارسة الصوم هي باطلة " ملعونة الأرض بسببك. وشوگًا وحسگًا تنبت لك وتأكل عشب الحقل " (تك3:17.18).

إن الوصية قد أُعطيت لك لكي تعيش وتحيا حياة الاختبار، لا لكي تحيا حياة سهلة، حياة الرفاهية بدون إختبار. هيا تحدّث مع الله وتعرّف على أهمية الصوم. الحياة في الفردوس كانت مثلاً للإنسان الصائم. ليس فقط لأن الإنسان كان يشارك الملائكة على المائدة وتشبه بهم عندما عاش في قناعة، لكن أيضاً لأن كل ما إبتدعه الإنسان بفكرة فيما بعد لم يكن موجوداً في الفردوس. فلم يكن شرب الخمر موجوداً بتاتاً، ولم تكن هناك ذبائح حيوانية ولا كل ما يكدرّ الذهن البشري.